

Ιερά Μητρόπολη Βερούιας, Ναούσης και Καμπανίας
Διεθνές Επιστημονικό Συνέδριο
ΙΒ΄ ΠΑΥΛΕΙΑ
Παυλεία Θεολογία και Σύγχρονη Ειδωλολατρεία
26-29 Ιουνίου 2006

ثنائية وثنية معاصرة ووحدة بولسية للشخص البشريّ
بحث في اللاهوت البولسيّ الأنثروبولوجيّ بحسب الذهبيّ الفمّ

المطران د. بولس يازجي

متروبوليت حلب والاسكندرون وتوابعهما للروم الأرثوذكس

P.B. 6976 ALEPPO – SYRIE -TEL: + 963 21 4660670 - FAX: + 963 21 4660671

E-MAIL: SECRETARY@ALEPPORTHODOX.ORG -WEBSITE: WWW.ALEPPORTHODOX.ORG

Βέροια 2006

ثنائية وثنية معاصرة ووحدة بولسية للشخص البشري بحث في اللاهوت البولسي الأنثروبولوجي بحسب الذهبي الفم¹

مقدمة

إن خطر المجتمع المعاصر يكمن في مغالاة اعتباره اللذة ميلاً ضرورياً في الطبيعة البشرية، الأمر الذي سرعان ما ينقلب إلى ألم. هذا يحصل بسبب غياب المقاربة الروحية الصحيحة للجسد، الذي هو عنصر أساسي في الكيان الإنساني. كيف يمكن للمرء أن يتحرر من الجسد؟ الإجابة بالنسبة للبعض، من خلال اللذة و"إشباع" شهواته، وبالنسبة للبعض الآخر من خلال "القهر"، وأما بالنسبة لنا نحن المسيحيين، وبحسب الرسول بولس، فمن خلال "النسك"، أي بالجهاد الروحي، الذي إذا ما تم بحكمة وخبرة روحية، يحرر الإنسان ويؤهله ليصير كائناً روحياً، بما فيه جسده بالذات أيضاً.

باتت المقاربة الأنثروبولوجية لبولس الرسول حول الجسد ضرورية جداً اليوم. إلا أن البعض يتعثر من كون الرسول - المرابي والمعلم والمختبر للحرية وللحرب اللامنظورة - يُكثر الكلام جداً حول الحرب بين الجسد والروح، الأمر الذي يجعلهم يسيئون فهمه بسبب من ضعف.

يُعتبر القديس يوحنا الذهبي الفم المفسر الأول بامتياز لرسائل بولس الرسول، وسوف نعتمد على تفاسيره في سبيل إلقاء الضوء على معنى بعض الآيات الغامضة عند بولس الرسول والتي تخص موضوعنا. إن رؤية عصرنا الحالي تجهل المقاربة البولسية الروحية للجسد، فهي تقول بأن طبيعة الجسد تميل نحو اللذة، وهي هكذا تختلف جذرياً عن المقاربة المسيحية الأنثروبولوجية للجسد، حيث الجسد هو أداة، وحلقة الجهاد وواسطة التعبير عن محبتنا لله. للأسف، إن المجتمع المعاصر استبدل الجسد الإنساني من أداة تقديس، من خلال العمل والتأمل، إلى أداة خطيئة. إن فقدان المقاربة الأنثروبولوجية المسيحية والبولسية يقودنا إلى نتائج خاطئة، إلى تلك التي للفلسفة، والتي تقول إن تحرر الإنسان يتحقق من خلال تحرره من الجسد.

إن الفلاسفة، إلى أية مدرسة انتموا، قد بلغوا إلى النتائج عينها. يُعتبر الجسد "عدو" النفس، أو في أفضل الأحوال، يمكن الاستفادة منه "كعبد". يقول إبيكتيتوس (ΕΠΕΚΤΙΤΟΣ): "بشأن كل ما يخص الجسد لا نذهب أبعد من النفعية"².

¹ ترجمة عن المقالة:

Fleshly, Psychic and Spiritual Man - Flesh's and Soul's Warfare According to the Apostle Paul and St John Chrysostom, Institute of Theology, Cambridge 8th November 2002.

² *Εγχειρίδιον*, 33, 7. Spidlik, Tomas, *Η πνευματικότητα του Ανατολικού Χριστιανισμού*, μετάφραση Β. Ψευτογκά, έκδ. Πουρναρά, Θεσσαλονίκη 2000, σ.176.

إن اتحاد النفس بالجسد بالنسبة لأتباع أفلاطون هو عبارة عن سقوط^٣. "الجسد هو سجن النفس، قبرها". ومعروف أيضاً الشعار القديم "الجسد - القبر"^٤. "حرر النفس من الارتباطات الجسدانية"^٥، من الارتباط "بجثة"^٦. "الجسد مثل الوحل"، لا يمكن للنفس سوى أن تتسخ فيه^٧.

نجد في الأدب الآبائي والنسكي المسيحيّ إمّا آثاراً من هذا التعليم وإمّا تشابهاً تعبيرياً خارجياً:
"الجسد غريب عن النفس"، كأنه "رداء لحمي"^٨، كأنه "قناع"^٩، "أقمصة جلدية"^{١٠}، "لباس جلدي"^{١١}.

"الجسد ليس أنا نفسي" (Το σώμα δεν είμαι εγώ ο ίδιος)، إنه أوّل "خير" (αγαθό) لي^{١٢}.
"اهتمّ بالنفس فقط وأهمل الباقي"^{١٣}. "ألقي عنك هذا الحمل"^{١٤}، "لا تنقل نفسك بألبسة حياة جسدانية، بل اتّشح بالحياة الطاهرة"^{١٥}. "إنه يقتلني وأنا أجهز عليه"^{١٦}. "كما يُعرّف المصارع من مظهره الجميل، لون وجهه وجهه وإشراقه، كذلك المسيحيّ يُعرّف من نحافة جسده"^{١٧}.

³ Φαίδρος 246c, 248ac.

^٤ انظر أفلاطون، [Κρατύλος, 400 Γοργίας, 493a].

Courcelle, P., Le corps_tombeau, *Revue des études anciennes*, 68 (1966), pp.101-122.

^٥ أكليمنديس الاسكندري، البساط ٧، ٤٠، ١، [GCS 3, σ.19, 30].

⁶ Φαίδων, 67d.

غريغوريوس النزينزي، الرسالة ٣٢، ٣٢، [PG 37, 72B].

⁷ Aubineau M., Le thème du 'bourbier' dans la littérature grecque profane et chrétienne, *Recherche de science religieuse*, 47 (1959), pp.185-214.

⁸ (σαρκικό ένδυμα).

⁹ (μισαρό προσωπέιο).

غريغوريوس النزينزي، تفسير الصلاة الربية ٥، [PG 44, 1165BD].

¹⁰ (χιτώνας δερμάτινος).

أكليمنديس الاسكندري، البساط ٥، ٦٧، ٤، [GCS 2, 371].

¹¹ (υλικό δέρμα). Daniélou, J., Les tuniques de peau chez Grégoire de Nysse, *Glaube Geist, Geschichte, Festschrift für Ernest Benz*, Leiden 1967, pp.355-367.

^{١٢} مرقص أفريليوس، أفكار ١٢، ٣. باسيلوس الكبير، عظة في الانتباه للنفس ٣، [PG 31, 197].

Spidlik, Tomas, La sophiologie de Saint Basile, *OCA*, 1935, p.79.

¹³ (Φρόντιζε την ψυχή μόνο και αδιαφόρισε για όλα τα υπόλοιπα). Φαίδων 64c.

باسيلوس الكبير، إلى الشبيبة ٦، ٧، [PG 31, 581A].

¹⁴ (Απόθεσε αυτό το φορτίο).

انظر أكليمنديس الإسكندري، البساط ٥، ٨٣، ١، [GCS 2, 381].

¹⁵ "Μην επιβαρύνεις την ψυχή σου με ενδύματα μιάς ασαφούς και σαρκικής ζωής, αλλά με την καθαρότητα της ζωής".

¹⁶ (Αυτό με φονεύει, εγώ το σκοτώνω).

¹⁷ (Όπως ο αθλητής αναγνωρίζεται από την ωραία του εμφάνιση, το χρώμα του δέρματός του, έτσι και ο χριστιανός από το στεγνό του σώμα).

الجسد "صديق لا يعرف الامتنان"^{١٨}، ويجب ألا نثق به.

في الكتاب المقدس، ليس الجسد عبارة عن مجموعة لحم وعظامٍ يملكها المرء خلال حياته الأرضية ويتحرر منها ساعة الموت وسيلاقيها في يوم القيامة. إن للجسد قيمة مختلفة يعبر عنها بولس الرسول في لاهوته^{١٩}.

إذا كان الجسد والبشرة يُعبر عنهما في العهد القديم باستخدام تعبير وحيد هو (bascu)، إلا أنه في العهد الجديد، يمكننا التمييز بينهما باستخدام بولس الرسول للعبارتين: جسد (Σώμα) وبشرة (Σάρξ). إن البشرة الفاسدة^{٢٠} لا يمكنها أن تراث ملكوت الله، على عكس الجسد الذي ينبغي أن يقوم كما قام الرب^{٢١}. يجب على الإنسان إذاً أن يمجّد الله بجسده^{٢٢}. بسبب صعوبة موضوع الأنثروبولوجية المسيحية، فإن الثنائية الوثنية تؤثر بشكل أكبر في الأنثروبولوجيا على حساب الكوزمولوجيا. أمّا الرهبان، كما القديس يوحنا الذهبي الفم، فعلى الرغم من نسكهم الشديد والحازم، فهم الأقل تأثراً بالفلسفة والثنائية الأنثروبولوجية الوثنية^{٢٣}. خلال التطور التاريخي للآراء حول الجسد، تبيّن الأهمية العظمى التي تحلّت بها الأرثوذكسية، كما على سبيل المثال لدى القديس إيريناوس في مواجهته للنظريات التي تفصم الشخصية البشرية^{٢٤}.

I . الجسد والروح

إن تعبير بولس الرسول بشأن الجسد كجسد الخطيئة أو جسد الموت إلخ... يُساء فهمه عندما يُعرى من بعده الأخرى^{٢٥}. على سبيل المثال، يشرح الذهبي الفم عبارة الرسول "إذاً لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواتها"^{٢٦}، فيقول بأن الرسول يتكلّم عن "جسد البلى" ولا يذمه كسبب الخطيئة، لكنّه يعزّي. فالانتصار على الخطيئة هو أمرٌ صعبٌ ويتطلّب جهاداً والكثير من الحكمة^{٢٧}. يتحدّث هنا بولس

¹⁸ (αχάριστος φίλος).

يوحنا السلميّ، السلم ٩، [PG 88, 841C].

¹⁹ Léon X.- Dufour, «Corps», *Vocabulaire de Théologie Biblique*, Paris 1970, pp.210-3.

^{٢٠} فل ٣، ١٩.

^{٢١} ١كور ٦، ١٩.

^{٢٢} ١كور ٦، ٢٠.

²³ Festugière, A. J., *Antioche païenne et chrétienne*, Paris 1959, p.291. Camelot, P. T., «Hellénisme», *Dictionnaire de Spiritualité*, t.7, 1, Paris 1969, col.151. Spidlik, Tomas, *L'asceti nella Chiesa Orientale*, *Rivista di vita spirituale*, 31 (1977), pp.496-514.

^{٢٤} ضد الهرطقات ٥، ٢٧، ٩، [SC, 153 (1969), p.112].

^{٢٥} انظر رو ٦، ٦؛ ٢كور ٥، ٤.

^{٢٦} انظر رو ٨، ١١.

^{٢٧} إن ممارسة الفضيلة من بعد السقوط باتت أصعب من ذي قبل و"تحتاج الكثير من الحكمة". عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١١، ٣، [PG 60,]

[487]؛ ١٢، ٣، [PG 60, 498].

عن "البلى" بالمعنى الزمى والأخروي، ويريد أن يقول "إن الموت كنهاية للجسد هو حالة ذاهبة إلى زوال"، الأمر الذي يعزّي الإنسان من أجل أتعابه، ويشجّع سعيه ويجعل النصر أسهل^{٢٨}. تسود الخطيئة ليس بسبب الجسد القابل للموت بل بسبب الكسل. هذا هو تماماً المعنى الذي يعبر عنه بولس الرسول بقوله "إذاً لا تملكنّ الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواتها"، وهي آية تُظهر بوضوح أن "الجسد هو واسطة إما شرّ أو فضيلة"^{٢٩}. فالعين، على سبيل المثال، عملها الرؤية، أمّا رؤية الأمور حسناً أو سيئاً فهو يعود إلى النية. وأيضاً عندما يدعو بولس إلى "أن نصلب ذواتنا مع المسيح في المعمودية"، "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطيئة"^{٣٠}، يشرح الذهبي الفم أن بولس لا يقصد بعبارة "جسد" هنا الجسد الإنساني بل "محمل" و"كلّ" الخبث، كما يدعو محمل الشرّ "الإنسان القديم". هكذا، وبهذه الطريقة، بالإمكان تفسير حثّ بولس الرسول أن نميت أعضاء الجسد عن العالم^{٣١}. يدعو بولس الرسول الجسد "جسد الموت"^{٣٢}، "لأنّه تحت سلطان الموت وليس لأنّه يسبّب الموت، تماماً كما يحدث عندما يُوسر أحدهم فيقال عنه إنّه بربري، ليس لأنّه منهم فصار بربرياً، بل لأنّه تحت سلطتهم"^{٣٣}. ويشرح الذهبي الفم عبارات بولس الرسول في (٢ كور ٥، ٤) (نخلع، ننزع)، ويقول إنّه لا يعني أن الجسد هو "سيء"، ولا يقصد الجسد بحدّ ذاته، بل "الإسراع في التحرر من فنائيته"^{٣٤}. الذهبي الفم يبيّن أخروياً كيف أن بولس لا يرذل الجسد، لكنّه يتنهّد بسبب فنائيته. إن بولس بحسب الذهبي الفم ينشد الشكل الأخروي للجسد ويحنّ إليه، عندما يتشجّع بعدم الفساد، وهو يتنهّد بسبب الوضع الحاضر لأنّ فيه تشويهاً للجمال الأوّل وتغرباً عن إرادة الله، الذي لم يجبل الإنسان ليركه يموت بل "ليبقى غير مائت"^{٣٥}. في الآية "الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك، ولكن الجسد ليس للزنى بل للربّ والربّ للجسد"^{٣٦}، لا يدين بولس الرسول الجسد بل يتنبأ بشأن الحالة الأخروية حيث لا يأكلون ولا يشربون، فما يدينه هنا بالحقيقة هو انغماس النفس غير المنضبط في الشهوات. ويلاحظ الذهبي الفم أن بولس في هذه الآية يتابع قوله: "ليس الجسد للزنى بل للرب"^{٣٧}. وحول الآية "لأنّه لما كنّا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر

^{٢٨} عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١١، ٢-٣، [PG 60, 486-7].

^{٢٩} رو ٦، ١٣.

^{٣٠} رو ٦، ٦.

^{٣١} ٢ كور ٤، ١٠.

^{٣٢} رو ٧، ٢٤.

^{٣٣} عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١٣، ٤، [PG 60, 512]. رو ٧، ٢٤.

^{٣٤} عظة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ١٠، ١-٢، [PG 61, 467-468]. عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١٣، ٤، [PG 60, 512].

^{٣٥} عظة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ١٠، ٢، [PG 61].

^{٣٦} ١ كور ٦، ١٣.

^{٣٧} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٧، ١، [PG 61, 140]. راجع القديس غريغوريوس النيصي، في الأموات، [PG 46, 529B].

للموت^{٣٨}، يقول الذهبي الفم إن بولس "يُظهر أن سبب الشرّ هو آخر، ليس هو بسبب الأعضاء بل الأفكار الناشطة"^{٣٩}.

يبدو جلياً أن الذهبي الفم، بمقارنته الأخروية، قد حلّ مشكلة سوء فهم آياتٍ أساسيةٍ في رسائل بولس.

II . حرب الجسد والروح

إن الذي يرغب أن يعيش بالتقوى يُضطهد، إن لم يكن من الخطيئة التي تسود في العالم، فحتماً من الشيطان نفسه أو من الأهواء، كما يقول بولس: "لأنّ الجسد يشتهي ضدّ الروح والروح ضدّ الجسد، هذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون"^{٤٠}. وأيضاً، إن تحقيق قرار كهذا يحتاج إلى "حكمةٍ كثيرةٍ، وجهادٍ دون راحة"، لذا يردف بولس الرسول قائلاً: "بل أقمع جسدي واستعبده حتى بعدما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً"^{٤١}، مشيراً إلى غضب المرء لذاته وإلى الجهد الكبير الذي ينبغي أن يتحمّله كلّ الذين يودّون أن يطيعوا الجسد^{٤٢}. وفي مكان آخر يقول الرسول نفسه: "لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدّد يوماً فيوماً"^{٤٣}.

البعض يرى في آية بولس: "لأنّ الجسد يشتهي ضدّ الروح والروح ضدّ الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون"^{٤٤}، أن بولس يشطر ويفصم الإنسان إلى جوهرين أو عنصرين متضادين، ويُظهر كأنّ النفس هي في مواجهة أو حرب مع الجسد. إلا أنّ الذهبي الفم لا يعتبر أنّ هذا هو ما يحصل عند الرسول، ويفسّر بأنّ بولس "لا يدعو الجسد شرّاً" لأنّ الجسد ليس من "المؤثرات" بل من "المتأثرات" ولا من "الفاعلات"، بل من "المتفاعلات"^{٤٥}. وفي شرحه للآية "أقمع جسدي واستعبده" يلاحظ أنّه لا يقول "ألغي" أو "أدين"، لأنّ "الجسد ليس عدواً"^{٤٦}.

"البشرة" في الكتاب المقدّس لا تعني فقط الجسد. يشدّد الذهبي الفم هنا: "لا يدعو بشرةً فقط طبيعة الجسد بل الذهنية (φρόνημα) السيئة". وحين يقول بولس في مكانٍ آخر: "فالذين هم في الجسد لا

^{٣٨} رو ٧، ٥.

^{٣٩} عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١٢، ٤، [PG 60, 499]؛ ١٣، ٢، [PG 60, 509]. رو ٧، ٥.

^{٤٠} عظة في لعازر الفقير ٣، ٦، [PG 48, 1000]. راجع غلا ٩، ٢٧.

^{٤١} ١ كور ٩، ٢٧.

^{٤٢} عظة في لعازر الفقير ٣، ٦، [PG 48, 1000]. راجع ١ كور ٩، ٢٧.

^{٤٣} عظة في الرسالة إلى أهل أفسس ١٣، ٢، [PG 62, 95-96]. راجع ٢ كور ٤، ١٦.

^{٤٤} غلا ٥، ١٧.

^{٤٥} عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١٣، ٢، [PG 60, 509]؛ ١٢، ٤، [PG 60, 499]. عظة في الرسالة إلى أهل غلاطية ٥، ٥، [PG 61, 672].

راجع مز ٤١، ٢؛ ٨٣، ٢. ١ ملو ٢٠، ٤. حكمة سيراخ ١٨، ٣٠.

^{٤٦} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٢٣، ١-٢، [PG 61, 190].

يستطيعون أن يرضوا الله"^{٤٧}، لا يقصد أن يقتل المرء بشرته وجسده، لأن بولس نفسه كان متشجاً بالبشرة عندما قال ذلك. "بشرة" (Σάρκα) كما ترد في آية بولس تعني "الفكر الترابي - الأرضي"، الفكر الكسول والمتواني. فكر كهذا لا يأتي من الجسد بل هو خطيئة النفس الكسولة؛ لأن بولس يقول: "وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سحق تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر"^{٤٨}. وإذا كان ينسب هنا للجسد، على سبيل المثال، الزنى فليس باستطاعته أن ينسب إليه أيضاً العداوة، الغضب، عبادة الوثن،... إلخ. يبدو جلياً أن بولس بقوله "بشرة"، يقصد الاهتمام الجسداني وليس الجسد بحد ذاته، كما قال المحلّص نفسه لبطرس: "فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات"^{٤٩}.

إن عبارات "بشرة"، "جسد" و"نفس" في الكتاب المقدس لا تأخذ دوماً المعنى نفسه. فعلى سبيل المثال، "بشرة المسيح"، أي جسده، هي الكنيسة: "فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر"^{٥٠}. بالتالي فإن تحديد الاهتمام الجسداني أو الذهنيّة الماديّة بعبارة "بشرة" لا يعني نبذاً للجسد^{٥١}. ويصل الذهبيّ الفمّ إلى حدّ اعتبار "الروح" في حرب الجسد. والروح ليس النفس الحيّة أو العنصر الروحي في الإنسان، بل هو "الروح القدس" عينه، من دون التنكّر لدور النفس طبعاً. هكذا، فإن حرب الجسد والروح يعني حرباً بين الاهتمام الجسدانيّ الماديّ الذي يركّز على الشهوات الضارّة وعلى ثنائيّة بين الجسد من جهة، وبين الروح القدس الذي يحيي، من جهة أخرى.

إذاً، فإن تسمية "إنسان جسداني" و"إنسان روحي" تصوّر لنا درجتين روحيّتين: "وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلّمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال في المسيح"^{٥٢}. روحيّ وجسدانيّ يعنّيان طريقتي حياة مختلفتين: "فإننا نعلم أن الناموس روحيّ وأما أنا فجسدنيّ مبيع تحت الخطيئة"^{٥٣}، "لكي يتمّ حكم الناموس فينا

^{٤٧} رو ٨، ٨.

^{٤٨} غلا ٥، ١٩-٢٤. راجع عظة في الرسالة إلى أهل غلاطية ٥، [PG 61, 672].

^{٤٩} متى ١٦، ١٧.

^{٥٠} رو ١٢، ٤-٥. راجع أيضاً: متى ١٩، ٥. ١ كور ١، ٢٦.

^{٥١} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٤٢، ١، [PG 61, 361].

^{٥٢} ١ كور ٣، ١.

^{٥٣} رو ٧، ١٤.

نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"^{٤٤}، و"أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر بين الأمم للوقت لم استشر لحمًا ودماً"^{٥٥}.

ما من صراعٍ كيانيّ بين الجسد والنفس، بل صراع أخلاقيّ بين الموت والحياة، "فإنّ الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمّون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح. لأنّ اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأنّ اهتمام الجسد هو عداوة الله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنّه أيضاً لا يستطيع"^{٥٦}. أو كما يقول الذهبيّ الفمّ: "ما هي العداوة؟ أهي عداوة النفس نحو الجسد؟ لا، بل هي عداوة الرذيلة تجاه الفضيلة". إنّه بالتالي صراع نفس حيّة أو ميتة"^{٥٧}.

III . الإنسان الجسدانيّ، النفسانيّ والروحاني

كما أنّ عبارة "بشرة" هنا تعني الاهتمام الجسدانيّ والماديّ، كذلك فإنّ المقصود بعبارة "الإنسان الجسدانيّ" هو ذلك الذي يعيش "للاهتمام بالجسد" باللذّة، بالإباحيّة، بالبَطَر وبكلّ خطيئة"^{٥٨}؛ إنّ مَنْ يَحصر حياته في إطار إشباع الشهوات الجسدانيّة، هو "مَنْ التصق بأمور هذا العالم بالمطلق وبات خارج إطار عمل الروح"؛ إنّه ذاك الذي أبطل الذهن ومبدأ سيادة النفس و"بات كلّ جسدانيّاً"^{٥٩}، ويرى الأشياء فقط بعيون جسدانيّة والتي "ليس باستطاعتها أن تعاین أيّاً من أمور السماء". وبالمنطق نفسه، "الإنسان النفسانيّ" هو مَنْ ينظر إلى الأشياء فقط "بعين عقلائيّة"^{٦٠}. فإنّ العيون الجسدانيّة والمنطق فقط ليس باستطاعتهم أن يروا أمور السماء، طالما أنّه حتّى أمور الأرض ليس باستطاعتهم أن يروها بشكل صحيح، هكذا فإنّ فحصوا ما للإنسان فقط بالمنطق والعقل، فسينتج عن ذلك الكثير من الهزء والضحك"^{٦١}، "لأنّه لا يكفي لا الجسد ولا النفس، من دون الشوق للعلى". من دون "هذا الشوق للعلى"، أي الإلهام والنور الإلهيّين، لا يرى الإنسان فقط بشكل خاطئ ولكن أيضاً يهتمّ بالأمور المضادّة للدينونة. هذا الأمر لا يعود إلى طبيعة ما نراه، بل إلى

^{٥٤} رو ٨، ٤.

^{٥٥} غلا ١، ١٦. انظر أيضاً عب ٧، ١٦.

^{٥٦} رو ٨، ٥-٧.

^{٥٧} عظة في الرسالة الأولى إلى كورنتوس ٤٢، ١، [PG 61, 361]؛ عظة في أعمال الرسل ٣٧، ٣، [PG 60, 266-7]. عظة في سفر التكوين ١٢،

٥، [PG 53, 103].

^{٥٨} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس ٤٢، ١، [PG 61, 361]. عظة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنتوس ٣، ٣، [PG 61, 408].

عظة في الرسالة إلى أهل كولوسي ٥، ٤، [PG 62, 40-42]. راجع رو ٨، ٦.

^{٥٩} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس ٧، ٥، [PG 61, 60-61]. عظة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنتوس ٣، ٣، [PG 61, 408].

^{٦٠} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس ٧، ٥، [PG 61, 60].

^{٦١} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس ١، ٥، [PG 61, 60-61].

ضعف الإنسان الذي ينظر: "لكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً"^{٦٢}، أي إنه يحتاج إلى إيمان^{٦٣}.

لا يكفي إذاً الجسد والنفس لكي يبلغ الإنسان الكمال: "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح"^{٦٤}، بل ما يرفعه إلى إنسانيته هو روحانيته^{٦٥}.

من المعروف أننا لا نحب أو نبغض أحداً لكونه إنساناً فقط إنسان، بل إما لأنه جيد أو سيء^{٦٦}.

"الإنسان الروحاني" يؤهل كل أبعاد الإنسان، إنه خليقة جديدة، تلك التي أرادها الله منذ البدء عندما قام بأول حركة وجبل الخليقة وأعطى للإنسان دور روحانيته، أو بالأحرى مسحتتها بحسب صورة الله (صورة المسيح)^{٦٧}. إنه ذاك الإنسان الذي، بمرور الزمن والتقدم بالسن، لا يشيخ بل يتجدد طالما أنه يمتلك معرفة أكثر ويتأهل لخبرات أعظم ويصير أكثر انطلاقة وقوة. هذا ولد ليعيش، لذا لا يخضع للناموس الطبيعي القائل أن الولادة هي الخطوة الأولى نحو الموت. إن طبيعة جسد الإنسان الروحاني لا تبدل، بل يصير جسده جسداً روحانياً، أي يتطهر من الاهتمام الجسدي.

يلخص الذهبي الفم كل هذه المقاربة باستخدامه آية بولس "وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم"^{٦٨}، وكذلك يشرح فيقول: لا "تبدل" طبيعة الجسد بل "يصير لها أجنحة"، أي تتروحن. ويجري هنا ما يحصل مع الحديد الذي عندما يحمى بالنار يصير ناراً، لكنه يحافظ على طبيعته^{٦٩}. الإنسان الروحاني، بعد "روحنة" جسده، يصير كالملاك الذي يسير ههنا على الأرض ظاهرياً، لكنه بحسب اهتمامه، يصعد إلى السماء^{٧٠}. وإن كان جسد الإنسان الروحاني تسوسه النفس، فإن نفسه تسوسها الروح.

يقول الذهبي الفم في هذا الصدد إن خادم الروح، المسلم ذاته لقيادة الروح، لا يمكنه أن يكون سيد رأيه، لأنه وضعه في تصرف الروح. إرشاد الإنسان من الروح القدس يفترض ويشترط نسكاً، حياة ظاهرة

^{٦٢} ١ كور ٢، ١٤.

^{٦٣} عظة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ٣، ٣، [PG 61, 408]. عظة في الرسالة إلى أهل أفسس ٥، ٤، [PG 62, 40-42].

^{٦٤} يو ٣، ٦.

^{٦٥} بالنسبة للاهوت الأرثوذكسي إن عبارة إنسان روحاني، وهو تعبير بولسي، تستخدم في الأخلاقيات بعبارة "الروحانية". في اللاهوت الغربي تشير عبارة «spiritualité» بالفرنسية، أو «spirituality» بالإنكليزية إلى الحياة الدينية-الإخلاقية للإنسان في مقابلتها مع الحياة العالمية لغير المؤمنين.

راجع:

Μαντζαρίδη, Γ., *Ορθόδοξη πνευματική ζωή*, Πουρναρά, Θεσσαλονίκη 1986, σ.18. Hoeffe O., «Spiritualité», *Dictionnaire de Morale*, Paris 1983, pp.190-191.

^{٦٦} عظة في الرسالة إلى أهل كولوسي ٨، ١، [PG 62, 352].

^{٦٧} عظة في الرسالة إلى أهل كولوسي ٨، ١، [PG 62, 352].

^{٦٨} رو ٨، ٩.

^{٦٩} عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١٣، ٨، [PG 60, 518]. راجع رو ٨، ٨.

Μαντζαρίδη, Γ., *Ορθόδοξη πνευματική ζωή*, ό.π., σ.149.

^{٧٠} عظة في الرسالة إلى أهل رومية ١٣، ٧، [PG 60, 517].

وتعالياً على الاهتمامات الجسدانية المادية. ويستند الذهبيّ الفمّ في هذا الطرح على نُوح: "فقال الربّ لا يقيم رُوحِي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة"^{٧١}.

الإنسان الروحاني لا ينبذ الجسد إنما ينقيه بالنعمة^{٧٢}، إنّه إنسانٌ على صورة الله ومثاله، إنه إنسانٌ يشترك بالنعمة "لأننا وإن كنّا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نجاهد"^{٧٣}. على العكس، فإنّ الإنسان "الجسدانيّ" أو "النفسانيّ" المحروم من التشبّه بالله بواسطة الفضيلة، يتوقّف عن أن يكون بالفعل إنساناً، لقد عطّب وجوده الإنسانيّ، إنّه إنسان معطوب.

الإنسان الروحانيّ، متسلّحاً بعيون الجسد كما بعيون الإيمان، يعرف كلّ ما للإنسان الجسدانيّ والنفسانيّ، أي كلّ ما لغير المؤمن. وكما يشرح أيضاً الذهبيّ الفمّ، فإنّ الإنسان الروحانيّ، بالإضافة إلى معرفته لأمر هذه الحياة التي يعرفها الآخرون، فهو يعرف أيضاً قيمة الأمور الآتية أو المستقبلية، وما سيصير عليه العالم بالنهاية، وما ينتظر الخطأة غير التائبين، وما سيتنعم به الأبرار، وأنّ الأمور الحاضرة ليست لها قيمة بحدّ ذاتها. على العكس، فإنّ الإنسان الجسدانيّ والنفسانيّ يجهلها كلّها، لذا فهو أشبه بالأعمى الذي لا يمكنه أن يرى ما يراه الإنسان الروحانيّ^{٧٤}. يشبّه الذهبيّ الفمّ الإنسان الجسدانيّ والإنسان النفسانيّ بالأمّيّ الذي، عندما يستلم رسالة، لا يرى فيها أكثر من حبرٍ وورق، بينما الإنسان الروحانيّ يشبه المتعلّم الذي يستطيع أن يقرأ النصّ وأن يسمع بالأحرى صوت المرسل الغائب من خلال الرسالة ويخاطبه عبرها. إنّ هذا الإنسان، بسبب الخبرة المعطاة له من الرّوح القدس كعينٍ أخرى، يرى أعمق مما هو محجوبٌ عن ناظر الآخرين، إنّ هذه العيون هي أكثر استحقاقاً للتصديق من عيون الجسد^{٧٥}.

خاتمة

^{٧١} تك ٦، ٣. عظة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ٣، ٣، [PG 61, 408].

^{٧٢} هذا المعنى يكتب ثيوفانس الحبيس: "المسيحية هي روحانية في أسمى تعبيرها، طالما أنّ جوهرها هو النعمة، ولكن ليست غير منظورة. المسيحيّون الحقيقيّون، إذا هم روحانيّون، لكنهم ليسوا لا جسدانيّين. وإن كانوا روحانيّين، وفي أسمى تعبير، لا يستطيعون أن يتصرّفوا إلاّ بالجسد. راجع: Spidlik, Tomas, La doctrine spirituelle de Théophane le Reclus, *Orientalia Christiana Analecta*, Roma 1935, p.181.

^{٧٣} لاحظ هذا الأب أنّ الإنسان يدعى روحانيّاً من عمل الرّوح فيه: في الاستخدام البناء للنبؤات غير الواضحة ٢، ٥، [PG 56, 182]. انظر ٢كور ٣، ١٠.

^{٧٤} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٧، ٥، [PG 61, 60-61].

^{٧٥} عظة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٧، ١، [PG 61, 55-56]؛ [PG 53, 259].

هكذا، فإنّ "الجسد هو أداة الرّوح"، كالزمار بين أصابع العازف^{٧٦}، "معاون النفس"^{٧٧}. الجسد هو أداة الكمال، والمثال الأوضح على ذلك هو دور الجسد في الاستشهاد والبتولية^{٧٨}.

إنّ مجتمعنا الاستهلاكيّ اليوم ينزع نحو تحديد الشرّ في الطبيعة وليس في الذهنيّة (الحرية). لهذا، يسعى إلى تحرير الجسد عبر إشباع رغباته حتّى السيئة منها. وعلى العكس، فإنّ الأخلاق المسيحيّة تعزو الشرّ إلى التربية والذهنيّة. وبالتالي فإنّ الجسد يصير أداة لتحرير الإنسان عبر النسك، كما يقول بولس: "لأننا وإن كنّا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نجاهد"^{٧٩}.

وبالفعل، فإنّ تحرّر الإنسان يتمّ بتحوّله من إنسان جسديّ إلى روحيّ. وعبر هذه المسيرة، تتوحّد الشخصية الإنسانيّة التي شهواتها الإنسانيّة تطلب الحياة الروحيّة. هذا هو السبب الحقيقيّ لصراع الجسد والرّوح. إنّه الخطيئة وإشباع اللذات. وعليه، فإنّ تحقيق الشهوات المنحرفة يفصم الكيان الإنسانيّ. فاللذة تقود إلى الخطيئة وبالنهاية إلى الصراع بين الرّوح والجسد، بين حبّ الدنيويّات وعشق السماويّات. أمّا النسك فبواسطة الجسد يحقّق الوحدة ويجرّ الإنسان من ألم الانفصام، ويضع حدّاً للحرب والصراع الأخلاقيّ الرّوحي بين الجسد والرّوح.

^{٧٦} انظر غريغوريوس النيصي، في خلق الإنسان، [PG 46, 16AB].

^{٧٧} انظر غريغوريوس النيصي، في قيامة المسيح ٣، [PG 46, 677A].

^{٧٨} انظر إغناطيوس الأنطاكي، إلى أهل إزمير، ٤، ٢.

^{٧٩} ٢ كور ١٠، ٣.

المراجع

- Aubineau M., Le thème du 'bourbier' dans la littérature grecque profane et chrétienne, Recherche de science religieuse, 47 (1959).
- Camelot, P. T., «Hellénisme», Dictionnaire de Spiritualité, t.7, 1, Paris 1969.
- Courcelle, P., Le corps_tombeau, Revue des études anciennes, 68 (1966).
- Daniélou, J., Les tuniques de peau chez Grégoire de Nysse, Glaube Geist, Geschichte, Festschr. für Ernest Benz, Leiden 1967.
- Festugière, A. J., Antioche païenne et chrétienne, Paris 1959.
- Hoeffe, O., «Spiritualité», Dictionnaire de Morale, Paris 1983.
- Léon X.– Dufour, «Corps», Vocabulaire de Théologie Biblique, Paris 1970.
- Μαντζαρίδη, Γ., Ορθόδοξη πνευματική ζωή, Πουρναρά, Θεσσαλονίκη 1986.
- Spidlik, Tomas, Η πνευματικότητα του Ανατολικού Χριστιανισμού, μετάφραση Β. Ψευτογκά, έκδ. Πουρναρά, Θεσσαλονίκη 2000.
- Spidlik, Tomas, La sophiologie de Saint Basile, OCA, 1935.
- Spidlik, Tomas, L'ascési nella Chiesa Orientale, Rivista di vita spirituale, 31 (1977).
- Spidlik, Tomas, La doctrine spirituelle de Théophane le Reclus, Orientalia Christiana Analecta, Roma 1935.